العصبة القبلية واثرها في جيش عرب ما قبل الاسلام

م.م. هشام علي جميل صالح الحبو

وزارة التربية / المديرية العامة لتربية محافظة نينوى

الملخص:

تعد الدراسة في تاريخ عرب قبل الإسلام من الدراسات المهمة في التاريخ الإسلامي خاصة والتاريخ بشكل عام، لاسيما وان موضوع الدراسة (العصبية القبلية في جيش عرب ما قبل الإسلام) من الموضوعات المهمة والتي تمثل فيه العصبية القبلية اللبنة الأولى أو التنظيم الأول في المجتمع العربي، إذ أن رئيس القبيلة هو المسؤول الأول عن ذلك التنظيم وفي ؟؟؟ الأمور سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، حيث أن رئيس القبيلة هو صاحب الشأن وله الدور الأول والأخير في تعبئة الجيش والاستعداد للحروب، ومن تلك المظاهر العصبية والقبلية بدأ التكوين النظامي للجيوش، بعد أن كانت الجيوش في بدايتها تعتمد في الأساس على رابطة الدم والدفاع عن القبيلة. ولقد كان للعرب قبل الإسلام جيوش نظامية لدى بعض من الممالك الأولى ومنها (الجيش اليمني، جيش تدمر، جيش الحضر، وجيش الحيرة)، فضلاً عن الجيوش الغير نظامية ، والتي كانت تعتمد على القبيلة في الدرجة الأولى وتعتمد أسلوب (الايتنفار) في الاستعداد للحروب وإعلان النفير العام .

ونظراً لأهمية هذا الموضوع ارتأيت الدراسة والبحث في هذا الموضوع ، وتم تقسيم الدراسة الى تمهيد وثلاث مباحث، إذ قدمنا في التمهيد عن العصبية القبلية وبداية نشؤها والعادات والتقاليد ، فضلاً عن طبقات القبيلة والأحلاف والحلفاء. أما المبحث الأول فقد اختص بالجيوش النظامية التي كانت موجودة في الممالك العربية ومنها الجيش اليمني وجيش مملكتي تدمر والحضر ومملكة الحيرة ، والمبحث الثاني تطرقنا فيه إلى الجيوش الغير نظامية (جيوش القبائل) ، والتي اعتمدت على الاستنفار والدفاع عن القبيلة بسبب رابطة الدم، ورئيس القبيلة هو المسؤول الأول عنها وقيادة الحروب بيد الفرسان الشجعان من أبناء القبيلة ، واستخدام أساليب غير نظامية في الحروب ، إذ لم تكن هنالك استعدادات ولا يوجد تدريب منظم، فالقتال يكون غير منظم . أما المبحث الثالث فقد اختص بالنظم العسكرية وأساليب القتال من حيث الاستعداد للقتال والاستنفار للحروب والتعبئة وفنون القتال.

الكلمات المفتاحية: (العصبية القبلية، الجيوش، الاستعدادات العسكرية، النظم العسكرية).

The tribal league and its impact on the army of pre-Islamic Arabs

Hisham Ali Jamil Saleh Al-Habo

Ministry of Education / General Directorate of Education of Nineveh Governorate

Abstract:

The study of the history of pre-Islamic Arabs is one of the important studies in Islamic history in particular and history in general, especially since the subject of the study (tribal fanaticism in the army of pre-Islamic Arabs) is one of the important topics in which tribal fanaticism represents the first building block or the first organization in Arab society, as The head of the tribe is the primary responsible for that organization and in??? Matters, whether political, social, or economic, as the head of the tribe is the one who is concerned and has the first and last role in mobilizing the army and preparing for wars. Among these manifestations of nervousness and tribalism, the regular formation of armies began, after the armies in their beginning relied primarily on the blood bond and the defense of The tribe. The Arabs before Islam had regular armies in some of the first kingdoms, including (the Yemeni army, the army of Palmyra, the army of Hadar, and the army of al-Hira), in addition to irregular armies, which relied primarily on the tribe and adopted the method of (al-itanfar) in preparing for wars and declaring... General horn.

Given the importance of this topic, I decided to study and research this topic, and the study was divided into an introduction and three sections. In the introduction, we presented tribal fanaticism, the beginning of its emergence, customs and traditions, as well as the classes of the tribe, alliances, and allies. As for the first section, it was concerned with the regular armies that were present in the Arab kingdoms, including

the Yemeni army and the army of the kingdoms of Palmyra, Hatra, and the Kingdom of Al-Hirah. The second section dealt with the irregular armies (tribal armies), which relied on mobilization and defense of the tribe because of blood ties, and the head of the tribe is The primary responsibility for it and the leadership of the wars is in the hands of the brave knights from the tribe, and the use of irregular methods in wars, as there were no preparations and no organized training, so the fighting would be unorganized. The third section was concerned with military systems and fighting methods in terms of preparation for combat, mobilization for wars, and martial arts.

Keywords: (tribal fanaticism, armies, military preparations, military systems).

التمهيد:

تعد سلطة رؤساء القبائل من الأسس المهمة للتنظيم القبلي ولحياة القبائل عند عرب قبل الإسلام ، حيث أن رئيس القبيلة هو المسؤول الأول عن القبيلة في شتى الأمور ومن كافة الجوانب سواء سياسية او اقتصادية أو اجتماعية ، لذا فإن هذه الدراسة قد سلطت الضوء على العصبية القبلية ودور رؤساء القبائل ونفوذهم في شبه الجزيرة العربية ولاسيما موضوع البحث وهو تكوين الجيوش ، إذ أن رئيس القبيلة هو صاحب الشأن وله الدور الأكبر في تعبئة الجيش سواء كان في الغزو أو في حال الدفاع عن القبيلة أثناء الهجوم عليها، ولاسيما أن البيئة الصحراوية كانت الصعبية كان سبباً في التكوين القبلي ، وأن القبيلة يجب المحافظة عليها من أجل ديمومتها ، وهذا هو السبب المهم في ظهور العصبية القبلية التي كانت تزيد من قوة القبيلة وترابطها وتماسكها، وجعل ابناء القبيلة تحت مشورة ورأي رئيس القبيلة لاسيما أن عرب قبل الإسلام لم يكن لهم ما يسمى بتنظيم (الدولة) بالمصطلح الحديث فكانت القبيلة هي من تنوب عن ذلك ، إذ أن الوحدة السياسية التي تنظم الهيكلي لها، وكان هناك مجموعة خصال يجب أن تتوفر في رئيس القبيلة .

أولاً: نشأة العصبية القبلية في الجزيرة العربية: كانت البدايات الأولى لظهور النظام القبلي على الأرجح قد ابتدأت في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام منذ أزمان بعيدة، إذ عاشت في شبه الجزيرة العربية شعوب أطلق

عليها تسمية الشعوب (السامية) ، وكانت تتشابه في طريقة عيشها مع القبائل الالسومرية ، وترجع تسمية السامية هذه إلى (سفر التكوين) الذي ود فيه ابناء سام بن نوح [١] .

وأن تلك الشعوب قد انحدرت من أولاد نوح (عليه السلام) وهم (سام وحام ويافث) ومن ثم انتشروا في الأرض بعد حادثة الطوفان [٢] ، وأن أحفاد (سام) قد تفرعوا إلى الأمم والشعوب وسميت تلك القبائل باسم جدها الأكبر ، وان الساميين قد نشأووا في الأصل في بيئة صحراوية امتازت بالجفاف والقحط [٣] .

وقد بقيت البداوة حقب طوال تستند على العصبية القبلية وأساساً لتكتل كل مجموعة مع مجموعتها ، وذلك من أجل تحقيق الغلبة ، وهي تتصارع وتتسابق من أجل الحصول على الكلأ والماء مع القبائل الأخرى والعصبية القبلية هي أن يدعوا الرجل الى نصرة عصبته ، والتكاتف معهم على من يناوئهم سواء كانوا ظالمين أو مظلومين وأن الحكم لا يتم إلا بالعصبية ، فإن كل أمر تحمل عليه الكافة ، فلابد له من عصبية ، وفي الحديث الشريف " ما بعث الله نبياً إلا في منعة من قومه " [٤] .

وإلى العصبية في المجتمع القبلي لا تكون لذوي الأرحام والقربى فقط، وإنما تكون للقبيلة أجمع ، أي أن العصبية القبلية تنتشر بين ابناء القبيلة بأسرها، لذا فقد كانت تلك العصبية من أخطر الظواهر الاجتماعية التي عرفتها المجتمعات البشرية ، فلم يكن يجمع العرب في الجاهلية غير العصبية ويذكر المؤرخ جرجي زيدان [٥] " إن البدو لا وطن لهم، وكانوا قبل الإسلام لا دين لهم ، فلم يكن لهم ما يجمعهم غير العصبية واللغة ..... لذلك عني العرب بحفظ أنسابهم وضبطها " .

كما أن العصبية القبلية أصلها قد بنيّ على وحدة الدم ولحمة الشعب ، ويوضح ذلك ابن خلدون [٦] في قوله " لا يصدق دفاعهم وضيادهم ، إلا إذا كانوا عصبية وأهل نسب واحد، لأنهم بذلك تشتد ويخشى جانبهم ؛ إذ نصرة كل أحد على نسبه وعصبيته أهم ، وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنعرة على ذوي أرحامهم واقربائهم موجودة في الطبائع البشرية.

كما أن القبيلة لا تمثل وحدة متجانسة ، بسبب وجود أشخاص أخرين قد انضموا تحت لوائها ، وذلك عن الاحلاف أو الولاء للقبيلة ، فضلاً عن الاسترقاق ، وأن هذا الانضواء معنوي كان يوازي في قوته رابطة النسب ولكنه يفتقد إلى الناحية العاطفية .

والعصبية القبلية درجات أقواها عصبية أسرة ثم تليها عصبية القبيلة ومن ثم الاحلاف ويلحق بها عصبيات أخرى كعصبية الولاء والجوار [٧] وكانت تحتم على ابناء القبيلة واجبات مشتركة ، وتلقي عليهم تبعات، كانت بمثابة عهود مكتوبة تفرض على أبناء القبيلة التناصر والتأزر [٨] . ومن أبرز مظاهر العصبية ما ساد في المجتمع في الجزيرة العربية من حروب ووقائع منها: حرب البسوس وداحس والغبراء ... إلخ [٩] .

ثانياً : العادات والتقاليد والأعراف : لم يكن لدى العرب قبل الإسلام قانون مكتوب ، بل كان هناك تقاليد بسيطة وواضحة يتمسكون بها ويصعب تغييرها ، فحكم القبيلة كان حسب العرف ، وهو مجموعة من العادات والتقاليد التي اصطلح عليها القوم منذ زمن بعيد ، فلم تكن لديهم سلطة تشريعية فسادت عندهم هذه التقاليد التي استمدت من تجاربهم ومعتقداتهم [١٠] . وعندما جاء الإسلام عدل عن هذه القوانين وجعلها ثابتة ويتساوى في مقدارها الحمية .

ثالثاً: طبقات القبيلة : تعتبر القبيلة الوحدة الرصينة التي يقوم عليها النظام العربي وهي تتكون من العرب الصلبية ، والعبيد ، والحلفاء.

١- العرب الصلبية: وهم يرجعون الى الجد الأعلى للقبيلة ، أي ينحدرون الى أصل واحد ، لذا كانوا يعزون أنفسهم متساوين نظرياً ، فهم جمهور ابناء القبيلة وقوامها والذين يرتبطون فيما بينهم برابطة الدم، وكان لهؤلاء حق الاحتفاظ بحريتهم [١١].

٢- الحلفاء : لم تكن تربطهم بأبناء القبيلة رابطة الدم، وإنما لجأوا إلى القبائل الأخرى من أجل الجوار أو الولاء للقبيلة ، وكان أغلبهم ممن كان يهرب بعد ارتكاب الجرائم ، مما دعى قبائلهم إلى ألا يتبرأو منهم وحلهم من القبيلة [١٢] .

٣- العبيد : كان أغلبهم من أسرى الحروب ، وآخرين تم شرائهم من أفريقيا أو عن طريق الولادة والقمار ، ويعمل العبيد في الأعمال اليومية ، ولا يشتركون في الحروب، ويعاونون أسيادهم في الأعمال ، ولما كان الرق والمتولد من الأسرة فه حالة خاصة ، إذ تكون له مكانة في القبيلة فتكون معاملته حسنة [١٣] .

رابعاً : الأحلاف والحلفاء : لقد حملت الحروب وتهديدات الغزو المستمر والأخطار الخارجية ، بعض القبائل ولاسيما الصغيرة منها إلى التحالف مع القبائل الكبيرة القوية ، وذلك من أجل الابتعاد عن شرها والمعونة

ضد الخطر الخارجي للحفاظ على وجودها ويذكر الملاح [١٤] : ينتسبون إلى الأعز لحماية الحمية وابادة الدنية، وسكون النفوس إلى نفس الكثرة والعصبية .

وقد كثرت وتنوعت التحالفات بين القبائل العربية في مرحلة ما قبل الإسلام بحيث تعد مقصورة على التحالفات السياسية ، فكان هناك تحالفات اقتصادية مثل (ايلاف قريش) كما ظهرت تحالفات ذات طبعة دينية مثل (الحلة والحمس والطلس) ، وان هذا التعدد يدل على الشعور بالحاجة الى تجاوز الروابط القبلية الطبيعية والتطلع الى روابط أكثر سعة لتصل الى البعد القومي الذي ينظر إلى العرب بصفتهم أمة واحدة [١٥] .

وقد تكون تلك الأحلاف دائمية أو مؤقتة وغالباً ما تسبقها مفاوضات ، لذا تعددت الأحلاف ومنها :

١- حلف الأفراد : وهو أن يدخل الرجل الى قبيلة أخرى غير قبيلته بالحلف والموالاة فينسب إليها أو الى قبيلته أو إلى القبليين [١٦] .

٢- حلف القبائل أو هو الذي شاع وانتشر قبل الإسلام بسبب الظروف التي املتها ظروف الجزيرة العربية وهي كانت أشبه بالمعاهدات . ومنها حلف الفضول ، حلف لعقة الدم، حلف الرباب ، وغيرها من الأحلاف الأخرى ... [١٧] .

المبحث الأول

الجيوش النظامية عند العرب قبل الإسلام

تعددت تعريفات الجيش عند المؤرخين ، فمنهم من عرف الجيش بأنه الجند او جماعة من الناس يتبعان بهم في الحرب [١٨] ، وأن جمعة جيوش [١٩] ، فالمراد بالجيش إذن: هم الجماعة المقاتلين الذين يخرجون إلى القتال ، وأختصت اللغة الجنوبية بذكر لفظة جيش ، إذ جمعت أجيش (جيوش) [٢٠] .

إلا أننا نجد لفظات أخرى ترد في المعاجم بمعنى الجيش أو العسكر ، ومن تلك الألفاظ لفظة (خمس) أو (خميس) في العربية الجنوبية بمعنى الجيش [٢١] . ويذكر بأن علماء اللغة سمت الجيش خميساً وأنه يتكون من خمسة فرق وهي : المقدمة والميمنة والميسرة والقلب والساقة[٢٢] ، وقالوا خميساً ، لأنه تخمس فيه الغنائم [٢٣] .

وهناك مفردات أخرى اشتهرت عند عرب قبل الإسلام ومنها (الجرار) ، وهو الاسم الذي اطلق على الجيشالكبير الذي لا يسير إلا زحفاً لكثرته، ويطلقون على هذا الجيش (الجحفل)[٢٤].

ومن الجيوش النظامية (العربية) في عصر ما قبل الإسلام :

أولاً : الجيش اليمني : لقد أشارت أغلب الدراسات والنقوش الجنوبية الى أن الجيش اليمني يضم نوعين من المقاتلين : وهم (الأحرار والعبيد) [٢٥] . والدليل على وجود العبيد بأعداد كبيرة ما ورد في بعض النصوص أن عدد العبيد المقاتلين في الجيش اليمني يقدر بأفواج من الجيش [٢٦] . كما ان النظام التجنيدي للجيش اليمني يعتمد بشكل كبير على المرتزقة [٢٧] .

وقد قسم الجيش اليمني الى تشكيلات متعددة تبدأ (بالمفسر) : والذي يتراوح عدد مقاتليه من خمسمائة إلى ثمانمائة كحد أعلى [٢٨] ، ومن التشكيلات المهمة ما تسمى (المقنب) ، وهي قوة خاصة من الخيالة أو ما يسمى بالفسان أو فرسان الفرسان وعددهم من مئة إلى ثلاثمائة[٢٩]. أما التشكيل الأخر في تشكيلات الجيش اليمني فهو السرية ، ويتراوح عدد المقاتلين فيها بين المائة والاربعمائة ، ويكون العسكر في السرية خلاصة العسكر وخيارهم ، ومن هنا أخذت السرية اسمها من الشيء السري وهو النفيس [٣٠] .

وهنالك تشكيلات أخرى في مكونات الجيش اليمني وهي النفيضة وهم العيون الذين يسبقون الجيش لاستطلاع العدو [٣١] ، فضلاً عن تشكيلات أخرى.

ومن ذلك يبدو جلياً أن الجيش اليمني كان من الجيوش المنظمة، إذ أشارت إلى ذلك لوحة فنية مرسومة على قطعة من العقيق ، وضمت اهتمام ملوك اليمن بالزي العسكري للجندي النظامي ، وقد تمثلت في خوذة على الرأس ، وقميص نصف كم ، وسروال قصير وحذاء ذي قبة [٣٢] .

ويمكن تقسيم الجيش اليمني إلى ثلاث أقسام الأول : الجيش النظامي ، وهي الجيش الرسمي ، ويتكون من نوعين هما : (خميس الملك) ، خميس سبأ وخمسي حمير ، وهذا الجيش بمثابة الحرس الخاص أو ما يسمى قوة الملك [٣٣] .

اما النوع الثاني من الجيش فهو (خميس القيل) وهو الذي يحكم البلاد ويدافع عنها من الخطر الخارجي ، ويكون عدد مقاتليه أكثر بكثير من مقاتلي (خميس الملك) ، كما يشارك فيه جميع طبقات المجتمع من امراء وعبيد ، ويكون على درجة عالية من القوة والتسليح [٣٤] .

أما القسم الثاني من الجيش اليمني فهو جيش (الشعب) وهو مكون من القبائل اليمنية فقط، إذ يكون قوة احتياطية الساندة للجيش اليمني النظامي [٣٥] .

أما القسم الثالث فهو (جيش الاعراب) : ويتكون هذا الجيش من قبائل عربية مختلفة ايت تقطن شبه الجزيرة العربية، ويكون الانتماء له طوعياً ، ومن أشهر القبائل التي اشتهرت في هذا الجيش هي (كندة، مذحج، مراد، سقلان) وغيرهم من اعراب اليمن والجزيرة [٣٦] .

أما عن أهم الصنوف في الجيش اليمني فهي (المشاة والخيالة والرماة ومجاميع المنجنيق والصنف ، وهذا فضلاً عن العيون والطلائع ، اضافة إلى أصناف أخرى مهمة يحتاجها الجيش اليمني للاسناد والاطلاع والقماص وبدلاء ... إلخ [٣٧] .

ثانياً : جيش الأمراء : ظهرت هذه القوة بعد أن تدهورت الجوانب العسكرية للرومان، فمثل الجيش التدمري قوة متطورة على الرغم من حداثته ، ويعود السبب في ذلك لكونهم كانوا جنوداً سابقين في القوات الرومانية ، ولهذا أصبحت لدى تدمر قوة قتالية متفوقة على الاعاب التي كانت تعد قوة متفوقة ومهابة الجانب ، لما تملكه من حسن التدريب والطاعة والنظام ، وهذا ما كان سبباً في سيطرتهم على أماكن واسعة في البادية ، فضلاً عن وضعهم لحاميات عسكرية على طول الطرق الخارجية ومنها حاميتان (عانة والحيرة) [٣٨] .

أما أهم صنوف الجيش التدمري فهي :

١- المشاة : وتعد هذه الفرقة أو الصنف من أهم الصنوف التي يعتمد عليها التدمريون في القتال ، لأنهم قوة مدربة ومنظمة على وفق السياقات العسكرية في الجيش الروماني ، وكان تسليحهم بالسيف ويحمون أنفسهم بالدروع والدرق [٣٩] ، ومن أهم الأنظمة العسكرية التي اتخذوها (نظام الكردوس) و (نظام الكتيبة) في زمن قراجان (٩٨-١١٧م) [٤٠] ، وقد يعود هذا النظام الى الرومان على الارجح.

٢- الفرسان والخيالة: وكانت هذه القوة تمثل القوة الرسمية في الجيش التدمري ، لأنهم مجهزين بالدروع التي يلبسها الفارس من أعلى رأسه إلى قدميه، وتحمي جميع اجزاؤه، فضلاً عن انهم قاموا بتدريع الخيول بالصفائح الواقية على نحو ما كان يفعلها الرومان [٤١] .

٣- الرماة : اشتهرت تدمر بهذا الصنف القتالي المهم ، حتى أن الرومان بعد ان فرضوا سيطرتهم على بلاد الشام تنبهوا الى قوة هذا الصنف في اصابة الهدف، وقد انضم عدد كبير منهم الى الجيش الروماني [٤٢] .

٤- الهجانة : وهم أحد الأصناف المهمة للجيش التدمري ، وكانوا يركبون الابل ، فمثلوا قوة مهمة للجيش التدمري وكانوا العمود الفقري له، حته انه اصبح لهذا الصنف دور مهم في تحرير مصر سنة (٢٧٠م) ، وكان أول ذكر لهذه القوات في عهد الامبراطور تراجان ، وكانت اسلحتهم من الأقواس والرماح والدرقات الصغيرة المستديرة [٤٣] . وهذا يوضح لنا بأنها كانت قوة دفاعية هجومية في نفس الوقت .

٥- هذا فضلاً عن عدد من الأصناف الأخرى التي كان يتميز بها الجيش التدمري مثل المنجنيق وغيرها من الاصناف المهمة ... إلخ [٤٤] .

ثالثاً: جيش الحضر : كان الجيش في مملكة الحضر امتداد للجيش في العراق القدي ولاسيما الاشوري ، بل هو نتاج عنه، وقد شكل حلقة اوصل بين الجيش الاشوري وممالك العرب قبل الاسلام ، مع تغييرات بسيطة في التجهيزات العسكرية ولاسيما الملابس وذلك بحكم ؟؟؟؟ الصحراوية المفتوحة وقوة المناخ، فضلاً عن عدم استقراهم في مكان واحد [٤٥] .

ومن أهم اصناف الجيش في مملكة الحضر :

١- المشاة : وهم الصنف الاهم في الجيش الحضري، إذ كشفت العديد من التماثيل لملوك المملكة ومحاربها ببزاتهم العسكرية وأسلحتهم الخفيفة الذين كانوا يمثلون مقاتلين في صنف المشاة ، اما تقسيمات هذه الفرقة أو الصنف فهي نفسها في الجيش الآشوري مثل (آمر الحضيرة) وتكون من عشرة أشخاص ، و (آمر الخميس)، فضلاً عن آمر المجموعة ، التي كانت على الارجح تضم مائة مقاتل[٤٦].

٢- صنف الفرسان (الخيالة) : وهو الصنف الآخر الذي انتقل من الجيش الاشوري وتأثر به ، ويعد هذا الصنف من أهم الصنوف لما للخيول من أهمية كبيرة ومكانة مهمة في حياة المجتمع الحضري ، امتازت به الخيول من سرعة وخفة في الجري، لاسيما بعد ان أصبحت الخيول في مجتمع عرب قبل الاسلام من أهم عوامل النجاح للغزو بين القبائل، فأصبح امتلاك الخيول سمة القبائل القوية [٤٧] .

٣- الفَعَلة (العمال الفنيون): وهو الصنف الاشوري الذي ذكر في مصطلح (كلافي) وتعني (مهندس) ، ومنهم انتقل الى الجيش الحضري ، كون الجيش ابناء منطقة واحدة [٤٨] . وقد أوضحت الكثير من الادلة التاريخية على

وجود صنف الهندسة في مملكة الحضر ، ويبدو أنه كان للمهندس في مملكة الحضر أنشطة مهارية عسكرية وأخرى مدنية ، ولاسيما في مجال بناء المعابد [٤٩] .

٤- صنف الأسلحة الثقيلة : وهو أحد اهم صنوف الجيش الحضري ، إذ كان اقتباس أهل الحضر للأسلحة الثقيلة من الجيش الاشوري وتطويره نحو الأفضل ، فبعد أن كانت الدبابات خشبية والابراج المتحركة تتقدم في هدم اسوار المدن الخارجة عن الطاعة الاشورية ، طور الحضريون هذا الصنف وتعددت التشكيلات التابعة له ، ومنها الآلات الكبيرة لرمي السهام المفردة والمزدوجة والمنجنيق [٥٠] .

رابعاً : جيش الحيرة : وهو أحد الجيوش النظامية في منطقة الجزيرة العربية والمؤلف من عدة كتائب ، أهمها :

١- الدَوسَر (الدوسرة) : وهي كتيبة ثقيلة تجمع الفرسان والشجعان من كل قبيلة ، وقد عرف عن هذه الكتيبة قوة شكيمتها، وشدة بطشها ، حتى ضرب بها المثل (أبطش من دوسر) [٥١] . والجدير بالذكر ان معظم مقاتلين هذه الكتيبة من القبائل العربية، ولاسيما (ربيعة)[٥٢] .

٢- الشهباء : وهم أهل بيت الملك من اخوته وابناء عمه ، وكان يطلق عليهم (الاشاهب)، بسبب بياض وجوههم ، من مهامها أنها كانت العون والمساعد الاكبر لكتيبة الدوسر في تنفيذ واجباتها ، لاسيما عندما تخرج كتيبة الدوسر الى مكان بعيد، كما حصل في غزو بلاد الشام ، فقد كانت الشهباء الى جانب الدوسر ، فقال الشاعر الأعشى في كتيبة الشهباء [٥٣] :

وبنو المنذر الاشاهب بالحيرة يمشون غُدوةً كالسيوف

٣- الضايع : وهم ضائع الملك أصحاب الجرائر، فكانوا ملوكهم يخلعونهم فيلجأون إلى ملك الحيرة، فيجزيهم ويعطيهم الأمان ، وهم من مختلف القبائل ، مثل بكر بن وائل وبني تميم وبني قيس [٥٤] .

٤- الملحاء : وهي احدى كتائب جيش المناذرة وسميت بهذا الاسم لارتداء مقاتليها دروع الحديد [٥٥] .

٥- الرهائن : وأفراد هذه الكتيبة من ابناء القبائل العربية الذين كانوا يأخذون رهائن لدى ملك الحيرة ، ويبقون عاماً كاملاً ضماناً على أن لا تغزو قبائلهم مملكة الحيرة، ويبلغ عددهم (٥٠٠ فتى) فكان ملك الحيرة يغزو بهم كل خصم ذي قوة ضاربة[٥٦].

٦- كتيبة الوضائع : وهي كتيبة فارسية مكونة من ألف مقاتل فارسي ، وتعد القوة الضاربة للفرس في الحيرة ، ومقاتلوها من الاساورة ، وضعهم كسرى في الحيرة، فكانوا يرابطون سنة ثم ينصرفون ويأتي مكانهم جدد [٥٧] .

٧- الجمرات : وهي كتيبة خاصة بالجيش الحيري ، معظم مقاتليها من لخم ، وكانت تسمى (الجمرات) أو (الجمال) [٥٨] .

٨- الجأواء : والتي تعني الجيش العظيم [٥٩] ، والتي يعلوها لون السواد لكثرة السواد والدروع، وهي كتيبة هامة في جيش (النعمان بن المنذر) [٦٠] .

إن وجود هذا العدد من الكتائب في الجيش الحيري أعطى حكام الحيرة القدرة على بسط سيطرهتهم على من جولهم من القبائل ،كما استطاعوا تأديب اعدائهم ، بغض النظر عن ان إحدى هذه الكتائب غير عربية .

المبحث الثاني

الجيوش غير النظامية

على العكس من المناطق والمدن التي تميزت بجيوش نظامية ، لم تكن للقبائل العربية (البدوية) في شمال ووسط الجزيرة العربية قبل الإسلام جيوش نظامية ونظام معين في تكوين الجيش وفي عدد وحداته ، بل كانوا يتركون أمر ذلك تبعاً للظروف ، فضلاً عن رأي القادة الذين توكل إليهم امور ادارة المعارك [٦١] .

ومن ذلك كانت القبائل تقاتل حسين تدعى للقتال ، أو حسين تغزوها القبائل الأخرى، فيساهم جميع ابناء القبيلة في المعارك ، حيث يهب كل شخص للدفاع عن قبيلته التي تربطها قوة العصبية القبلية أو بالأحرى رابطة الدم ، إذ يشترك في تلك الغزوات أو القتال الرجال والنساء[٦٢].

والجدير بالذكر بأن ذلك الجيش لم يكن منظم ، أي أنه لم يكن له أي تدريب سابق ويفتقر الى الوحدات المعينة عكس ماذكرناه في الجيوش النظامية ، إنما يكون أمر هذه الجيوش وتسييرها بأيدي الشجعان من فرسان القبيلة وهذا ما جعل المؤرخ الروسي الجنرال (ستروكوف) يصف المحاربين العرب بقوله : (وقد اشتهر العرب منذ القدم بكونهم محاربين أشداء توحدهم الصلات المتينة في المعارك) [٦٣] .

أولاً : القبائل التي شكلت منها جيش الأعراب :

كانت قبائل كندة تمثل الجيوش الاقوى في جيش الاعراب، وفضلاً عن كندة كانت قبيلتا (حرام وباهلة) من أهم القبائل وأقواها، حيث كونت القبيلتان قوة عسكرية رديفة للجيش النظامي، كما انضمت الى هذه القوات

اعراب اليمن (بدوها) في منطقتا عسير والسراة، من أعراب الشمال بشكل عام [٦٤] ، إلا أن كندة كانت تمثل عماد هذه التشكيلات وقوتها ، وذلك بما عرف عنها من أعداد كبيرة إذ بلغ عددهم حوالي (ثلاثون ألفاً) ، فضلاً عن انها قبائل غير مستقرة [٦٥] .

أما قبيلة (مذحج) وأحلافها ، فقد بلغ عدد قواتها حوالي (١٢ ألف) مقاتل ، وكانوا قد حشدوا هذا الجيش وأعدوه إعداداً حربياً ، وذلك بسبب أهمية المعارك التي كانوا يخوضونها ، لاسيما معركة (كلاب الثاني) مع قبيلة تميم [٦٦] .

وكان العرب يطلقون على كل قبيلة تحارب وحدها من دون لف مع قبيلة أخرى تسمية (الجمرة) : وهي قبيلة لا يقل عدد افرادها عن (٣٠٠) فارس، وهذا ما يدل على قوة القبيلة وبطشها وشدة بأسها ، ومن تلك القبائل بنو حمير بن عامر وبنو أد وبنو الحارث بن كعب [٦٧].

ومن القبائل العربية التي كان لها جيش غير نظامي قبيلة (تغلب) ، وهي التي كان لها مكانة قوية وشأن عند العرب قبل الاسلام ، إذ تعد من القبائل العربية الحربية التي تهدأ إلا بالقتال والغزو ، حتى انها كانت قد اشتبكت بالقتال مع الكثير منالقبائل العربية ، ولاسيما قبيلة (بكر بن وائل) وهم ابناء عم ، حتى قيل لو أبطأ الاسلام قليلاً لأكل بنو تغلب الناس [٦٨] .

وهذه الدلائل على أن قبيلة تغلب لها جيش قوي من حيث العدة والعدد ، فكانت العرب تخشى تغلب ، ولاسيما فرسانها الذين حققوا لها انتصارات كبيرة وكثيرة ، وإذا تم احصاء الأيام الحمربية التي خاضها الجيش مع القبائل العربية فبلغ حوالي (٢٣ يوماً) ، منها (٤ معارك) مع القبائل القحطانية ، و (١٩ معركة) مع القبائل العدنانية [٦٩] ، وهذا دليل على الشواهد التاريخية على قوة واستعدادات قبيلة تغلب لخوض المعارك.

ومن أكثر الظواهر الحربية لدى القبائل العربية الغارة أو الغزو ، وهي هجمات يقوم بها فرسان قبيلة على قبيلة أخرى ، ويسعوا جاهدين الى أن لا يعلم خبرهم حتى تحصل المباغتة ويحرزوا النصر [٧٠] .

وحتى تكون الغارة ناجحة لابد أن يتوفر فيها عناصر النجاح والتي تتمثل بالعدد الكافي من الفرسان، فضلاً عن الاستطلاع الدائم يجمع الاخبار عن العدو وأماكنه وتحركاته ، وأفضل الطرق الواجب اتخاذها ، لاسيما السرية التامة واختيار الوقت المناسب للغارة لكي تستطيع الوصول الى الهدف المنشود ، هذا فضلاً عن ما ينبع

الغارة من بعض حالات الخداع والتمويه والتظاهر بغير الحقيقة المطلوبة ، وقد وصف أحد الشعراء ذلك بقوله [٧١] :

فما شعر الحي حتى رأوا بياض القوانس [٧٢] فوق الغُررِ

أما القبيلة التي تتعرض للغزو، يقوم فيها ذو الرأي والخبرة العسكرية بإعداد خطط الدفاع عنها ورد الاعتداء الواقع عليها ، أما في حالة الاحلاف يعد أيضاً ذوي الرأي والخبرة في الحلف خطط الهجوم أو الدفاع ، فيشترك الحلف في اعداد المحاربين وقيادتهم ، فإذا أرادت قبيلة غزو قبيلة أخرى، نهض رجال الرأي في الحرب بإعداد الجيش وفرسانه ورماته ، واعداد الخطط والتشاور في الرأي لكسب المعركة [٧٣] .

وكان عدد المقاتلين لدى القبائل العربية (الجيوش غير النظامية) يعود إلى قوة المعركة وثقلها وحجم القبيلة المشاركة فيها، وان معظم أيام العرب وغاراتهم كان عدد المقاتلين يقارب المائة، حتى ان (عنترة العبسي) سئل يوماً عن عددهم في يوم (الفروق) ، فقال : (كنا مئة ، لم نكثر فنفشل ، ولم نقل فنذل) [٧٤] فبدوا من ذلك أن هذا العدد من المقاتلين يعطي للمغيرين امكانية المناورة بسهولة .

وقد ذكر ابن قتيبة [٧٥] ، أن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ سأل بعض بني عبس (كم كنتم يوم الهباءة ؟ . فقالوا : كنا مئة كالذهب ، لم نكثر فنتواكل ، ولم نقل فنذل) .

ثانياً : التنظيم القتالي للجيوش غير النظامية (القبائل) والمعارك التي خاضها :

كان يقسم الجيش المستنفر للقتال الى خمسة أقسام وهي (المقدمة ، القلب ، الميمنة ، المسيرة ، المؤخرة) ، وكان يسمى هذا الجيش خميساً [٧٦] .

ومن أشهر المعارك التي طبق فيها هذا النظام (يوم خزاز) ، إذ وصف أحد الشعراء هذا التقسيم بقوله :

وكنا الايمنيـن إذا التقينا وكـان الأيسرين بنو أبينا

فصالوا صولة فيمن يليهم وَصُلنا صَولة فيمن يلينا [٧٧]

وفي معركة ذي قار التي دارت بين قبائل بكر وأحلافها من جانب والفرس من جانب آخر ، قسم العرب جيشهم على وفق نظم التعبئة العسكرية ، فكان عدد جيش الفرس حوالي سبعة آلاف ، منهم أربعة آلاف من الفرس وثلاثة آلاف من القبائل العربية الموالية لهم ، فكان مجموع جيشهم سبعة آلاف ، اما جيش القبائل العربية من بكر بن وائل وأحلافهم ، فكان مقارب لعدد الفرس أو أقل بعض الشيء ، وقد كتب النصر للعرب على الفرس في هذه المعركة [٧٨] .

وقد اعتمد العرب في القتال على اسلوب الفر والكر [٧٩] . كما استخدموا الاسلحة الخفيفة في القتال كالسيوف والنبال والرماح ، وكان الفرسان في القبائل العربية يتميزون باستخدام السيوف [٨٠].

كما استخدم العرب في جيوشهم الجمال (الهجانة) بدرجة كبيرة في الحروب إلى جانب المشاة والخيالة ، وكان تسليحهم بالرماح الطويلة ، اما السلاح الواقي عند القبائل العربية فقد كان يتألف في بعض الأحيان من دروع وخوذ وصفائح من الحديد ، لتغطية الأيدي والارجل [٨١] .

واعتمد قتال العرب كثيراً على المهارة الفردية في استخدام السلاح والمناورة على ظهور الخيل والقوة الجسدية للمقاتلين سواء كانوا فرساناً او مشاة ، وقد بلغ اتقانهم لهذا الفن درجة تبعث على الاعجاب وهم يمارسون هوايتهم لهذا الفن بشجاعة [٨٢] .

وقد كان للتحريض وتشجيع المقاتلين دوراً هاماً في احراز الكثير من الانتصارات ، إذ كان دور المراة العربية في جيوش القبائل واضحاً من خلال معالجة المقاتلين والقتال الى جانبهم، فهي رمز القوة المعنوية التي يستلهمها المقاتل العربي في ساحات الشدة والضيق [٨٣].

وعلى الرغم من أ الحرب كانت تجر بين جيوش القبائل على غير النظام المتبع في الجيوش النظامية ، إلا أن جيوش القبائل لم تهمل الحيلة والخدع ونشر العيون ونصب الكمائن ، ومن الأمثلة المهمة لدى العرب والتي تنطبق على التعبئة (انتهز الفرصة فإنها خلسة) [٨٤] . وهكذا استخدم العربي منهم الحربي حتى حصلوا على النصر في الكثير من المعارك ، لاسيما في يوم ذي قار ، كما برزت الحيلة والمباغتة في الكثير من الايام مثل (جبلة، المشقر، الكراب)[٨٥].

ولم يكن جيش القبائل يمتلك القدرة على مواجهة الجيوش النظامية ، لنها لم تتعود الحروب الطويلة والخطط الموجهة ، لذلك سرعان ما كانت جيوش القبائل تهرب الى عمق الصحراء أو تواجه الجيوش النظامية [٨٦].

ومن الشواهد التاريخية على المواجهة العسكرية بين جيش قبائل الحضارمة والجيش اليمني (المنظم) ، بعد أن علم الحضارمة قدوم الجيش اليمني الجرار بقيادة (سعد تالب الجدني) تجمعت قبائل الحضارمة لتكوين جيش قوامه (٣٥٠٠) مقاتل من الهجانة و (١٢٥) فارساً ، وكان على رأسهم سيد حضرموت من (ربيعة وذهل) ، فالتقى الطرفان أسف موضع يسمى (أعيان فراص) [٨٧] ، فدارت رحى المعركة ووقعت الهزيمة على (الحضارمة) ، فتمكن الجيش اليمني من قتل (٨٥٠) منهم، وأسر أغلب قادتهم ، والحصول على الكثير من الغنائم [٨٨] .

وهذه المعركة كانت الدليل القاطع على أن جيوش القبائل الغير نظامية لا تستطيع التفوق والصمود أمام الجيوش النظامية المدربة والتي لها خطط عسكرية من حيث المباغتة والهجوم ، تحقيق النصر والحصول على الغنائم .

المبحث الثالث

النظم العسكرية وأساليب القتال

أولاً : الاستعدادت العسكرية والاستنفار للحرب :

ذهب الكثر من الباحثين والمؤرخين الى التساؤل عما إذا كان لدى عرب قبل الاسلام تنظيم عسكري أم لا ؟ حيث أن ذهب الكثير منهم ينكر على العرب ذلك ولاسيما المستشرقون منهم ؛ إذ يقول المستشرق (غوستاف لوبون) [٨٩] الذي نفى وجود فن عسكري لدى عرب قبل الاسلام بقوله : (إن العرب كانوا يجهلون فن الحرب جهلاً تاماً ، وانهم تعلموا هذا الفن والفنون في بضع سنين بعد ظهور الاسلام ، وخلال حروبهم مع الفرس والروم في الربع الأول من القرن الأول الهجري) .

إلا أن مثل هذا النفي المجرد يثير الكثير من التساؤلات والاستغراب ، إذ كيف استطاع العرب على الرغم من جميع الظروف القاسية وفي بضعة سنين فقط [٩٠] ، أن يكونوا جيشاً منظماً ويتعلموا فن الحرب ويتقنوه ، وان يقفوا بوجه أعق الامم وأكثرها تقدماً في التاريخ كالفرس والرومان وأن يحققوا عليهم انتصارات لم تكن بالحسبان وأخضعوا مساحات واسعة في فترة زمنية لا تتعدى نصف قرن ؟

للاجابة عن تلك التساؤلات لابد من اعادة النظر في تحديد الوسائل والاساليب التي كانوا يعتمدونها في حروبهم ، فضلاً عن الاستعدادات وكيفية جمع الجيوش وتحشيدها والتعبئة والاستنفار.

ففي مجال التهيؤ للقتال وتجمع الجيوش واعلان الحرب يتم عن طريق (الاستنفار)وهو اعلان حال ة النفير العام والذهاب الى الحرب ، ويكون ذلك من خلال عدة طرق منها دق الطبول والدفوف أو ضرب أعواد الخشب أو عن طريق الصياح لاعلام الناس بدنو العدو وظهور خطر ، أو الاستعداد للقيام بغزو، ويكون هذا الاستنفار بإيقاد النار على رؤوس الجبال فيجتمع القادرون على القتال ومن يتمكن من حمل السلاح وما تمكنه حالته المادية وملكيته الخاصة ، وقد يلتحق النساء بالمقاتلين من أجل اعداد الطعام وما يحتاجون من خدمات ، ولاسيما التشجيع والطبابة وحث المقاتلين [٩١] .

والجدير بالذكر بان اقرار الحرب لم يكن فردياً أو عاطفياً بل من الامور التي كانت تناقش داخل (مجلس القبيلة) وذلك لخطورته من اجل اتخاذ التدابير اللازمة والتهيؤ للحرب، وفي الكثير من المرات يكون الاجتماع في منزل (رئيس القبيلة) ، أو في مكان محدد يتم الاجتاع فيه من قبل الاعيان ورؤساء ووجهاء القبيلة، والدليل على ذلك أن قريشاً كان لها دار تدعى (دار الندوة) يناقشون فيه امور الحرب ووضع الخطط والتحالفات العسكرية وعقد اللواء للحرب [٩٢] . والمعروف على مجلس الحرب في القبيلة أن يتخذ قرارات تناسب الحرب، وتعد مراعاتها نوعاً من الشيم العربية ، ومن ذلك ارسال من يحذر العدو بالحرب ، وعرف بالسفارة [٩٣] .

ومن الامور المهمة والواجب توفرها أثناء الاستعداد للحرب كان على مجلس القبيلة اختيار (القيادة الجيدة) حيث ان فرسان القبيلة كانوا يتوسمون في قائدهم عدة صفات من الشجاعة ، والخبرة الحربية وقوة الارادة وصبوراً أمام المشاكل والشدائد وعلى أن يكون حازم في القرارات غير متذبذب ، فضلاً عن الجرأة والاقدام والاهم أن يكون عليماً بأمور الحرب [٩٤] .

كما ان للشعارات الحربية أهمية قصوى في حالة الاستعداد للحروب ، إذ كان قادة القلبيلة يؤكدون للمقاتلين على شعار و كلمة معينة يرددونها اثناء القتال ، وذلك لكي يتمكن المقاتلون الاخرون من تمييز أصحابهم من العدو ، ولأهمية هذا الأمر أصبح لكل قبيلة شعارها الخاص، إذ كان شعار قريش (أُغلُ هبل) [٩٥] ، وشعار بني بني عامر (ياجعد الوبر) [٩٦] ، فضلاً عن أن الكثير من القبائل كانت تستخدم اسماء الاجداد لايقاظ الهمم واثارة الحماسة [٩٧] .

ومن الأمور المهمة التي كان يهتم بها العرب في الحروب عقد الرايات والألوية للجيش قبل الدخول في القتال [٩٨] ، حيث أن الراية هي للوحدة أو الكتيبة أو القبيلة المقاتلة ويمثلها أحد المقاتلين المعروفين بنجاحهم ، أما اللواء فهو رمز للآمر قائد الجيش ، إذ أن الفرق بينها : أن الراية هي التي يتولاها صاحب الحرب ويقاتل عليها، واليها تميل المقاتلة ، أما اللواء : فهو رمز وعلامة كوكبة الامير تدور معه أينما دار [٩٩] .

وقد كانت القبائل العربية ألويتها ورياتها الخاصة يحتفظ بها ساداتهم ، أو أسر خاصة تتوارثها وتعتز بها وتجدد لونها وتحافظ عليها وعلى تسميتها [١٠٠] .

كما شاركت النساء في القتال مع قبائلها ، حيث كانت خير مؤثر ومشجع للرجال في اثارة الحماسة ، فكانت النساء تبث روح الحماسة وحثهم على لقاء الاعداء والصبر والمقاومة فيزدادوا شجاعة الى شجاعتهم ، فلم يكن دورها محصوراً في الحث على القتال ، بل شاركت المراة في ضرب العدو ومقاتلته في أوقات الشدة [١٠١] .

كما كان للكهنة دورهم المهم في الاستعداد للحرب ، وذلك من خلال التنبؤ بالحروب ونتائجها لما كانوا يتمتعون به من قدرة على اقناع الاخرين بادعائهم الاتصال بالقوى الغيبية ، لذلك كانوا يسألونهم في الكثير من الأحيان عن رأيهم في الحرب قبل أن يتخذوا القرار ، فكان يسمى ذلك الاستقسام [١٠٢] .

وقد أشارت بعض المصادر الى أن العرب كانوا يعتقدون بان هزائمهم وقعت بسبب مخالفتهم لتوجيهات الكهنة [١٠٣] . فكانت العرب تناجي أصنامها في الحروب والمعارك ، حتى أن ابا سفيان بن حرب كان يستغيث بصنمه (هبل) ، وهو يصرخ بأعلى صوته : (أُعْلُ هبل) [١٠٤] ، فضلاً عن أن العديد من القبائل كانت تحمل معها آلهتها عند الخروج الى المعارك ، لاعتقادهم بأنها تجلب لهم النصر في المعركة ، وغالباً ما تؤدي الخسارة المؤلمة الى التخلي عن الصنم المعبود ونبذه ، وذلك لاعتقاد ابناء القبيلة أنه لا يملك القدرة على الدفاع عنهم بسبب ضعفه، فعندها تقرر القبيلة اختيار صنم قوي جديد [١٠٥] .

ومن ذلك نستنتج أن قادة القبيلة لا يتوقفون عن استنفار المقاتلين ورص الصفوف قبل بدء المعركة ، كما أن هناك أمر مهم وحيوي وهو نوع السلاح وكيفية توزيعه ، وذلك يعتمد على العدو ومقدرته ، فضلاً عن جغرافية أرض المعركة ، وهل المعركة دفاعية أم هجومية ، كل ذلك يدفع الى نوع التسليح وتوزيعه على المقاتلين ، وكذلك

توزيع المقاتلين على جبهات المعركة ، فالفرسان والسيافة والنبالة وغيرهم من الصفوف الكل يأخذ موقعه حسب خطة القتال المعدة مسبقاً.

ثانياً : التعبئة وفنون القتال :

لقد اعتمد العرب قبل الاسلام في معاركهم على اساليب وفنون قتالية ونظم عسكرية عبروا بها عن حاجتهم ، كونهم أناس أصحاب أرض في جميع معاركهم ، فضلاً عن الصفات القتالية العالية التي يمتلكونها ، وقد تمكنوا من استخدام مقومات قتالية اضافة الى قدراتهم نوعاً من الخبرات العالية في سرعة حسم المعارك ايجابياً ، ومنها حسن اختيارهم لأرض المعركة ، إذ عدها من أهم اساليب القتال ، فكانت الجيوش تتسارع من اجل الوصول الى الاماكن المهمة في ساحة المعركة ، ولاسيما مواقع المياه (الابار) للاستفادة منها لارواء المقاتلين ومنع العدو من الوصول اليها [١٠٦] .

كما كان لطبيعة الأرض وجغرافيتها والمناخ والعوامل البشرية أبلغ الاثر والأهمية في الحركات العسكرية [١٠٧] ، إذ عرف العرب هذه الأهمية في حسم المعارك ، واستغلوا العوارض الطبيعية لاحراز النصر ، لذلك كانوا يحاولون استباق عدوهم الى أرض المعركة ، إذ يجعلون الشمس عند ظهورهم حتى لا تؤثر في أعينهم ، فيكون التأثير عكسي على العدو [١٠٨] .

ومن الأمور المهة الأخرى كانوا يعملون على السيطرة على المرتفعات في أرض المعركة، وقد استحسنوا استخدام هذه العوارض الطبيعية بخطة مدروسة ، كما في يوم شعب جبلية ، فقد صعدت بنو عامر الى الشعب ووضعت النساء وما معها من الابل والم؟؟؟ فيه ، ففوجئ العدو بهذا الاسلوب في القتال بانحدار الابل تريد الماء وتحطم كل شيء في طريقها[١٠٩]. وحقق هياج الابل فزعاً في صفوف الاعداء ، مما دفعهم للهروب والهزيمة من المعركة[١١٠] .

كما عرف العرب أيضاً استخدام اسلوب الكمين ومفاجأة العدو ، وهذا يوضح جلياً في معركة (ذي قار) عندما نجح العرب في استعال الكمائن والحيل لتحقيق النصر [١١١] .

وقد اعتمدت الجيوش العربية أساليب أخرى منها (الأساليب الاستخباراتية) في حروبهم ، وذلك من أجل الحصول على المعلومات المسبقة عن العدو، وقد تكون عملية نقل المعلومة من قبيلة الى أخرى طوعية ، بسبب

الروابط الاجتماعية التي تجمع بين شخص من تلك القبيلة مع رئيس القبيلة الأخرى أو أحد افرادها، او قد تكون رابطة نسب أو صهر فيغلب عليهم مسألة العفوية ، فيقومون بابلاغ تلك القبيلة بعض الأخبار الخطيرة والمهمة [١١٢] .

وقد كان يطلق على الشخص الذي يقوم بجمع المعلومات العسكرية عن العدو بـ (الربية) أو (الطليعة) ، وهو الذي ينظر للقوم لكي لا يداهمهم العدو ، وفكرة الربية جاءت لتدلل على شدة الحذر والمراقبة الدقيقة لتحركات العدو، لاسيما وأن المعلومات التي يتحصلها هؤلاء هي التي تحدد ساعة الهجوم ، وبالتالي تكون المؤشر الأول في تحديد الطرف القادر على المباغتة أو استغلال نقاط ضعف المقابل ، فبعد أن تتم جهة الربية على أتم وجه من نقل المعلومات ، تبدأ مرحلة التوجيه الحربي ، ويستمر القتال الى أن تسبب الغالب من المغلوب [١١٣].

وبعد أن تتهيأ العدة والعدد والمعلومات الكافية ، تبدأ المرحلة الاخيرة ألا وهي اختيار ساعة الهجوم ، إذ أنها تعد من أهم الأساليب القتالية التي تتبعها العرب قبل الدخول في المعركة، وبالنتيجة فإن الظروف المتوفرة هي التي تتحكم في ساعة الهجوم ، الا أن اجماع الاراء تؤكد بأن أنسب الأوقات هو وقت الصباح ، لأن حروب العرب ووقائهم قبل الاسلام عرفت بـ (أيام العرب) ، منهم يقاتلون في نهار اليوم لا في ليله ، فإن جاء الليل توقفوا ومن ثم يستأنفون القتال في الصباح الباكر [١١٤] .

أما فيما يخص التنظيم الحربي لدى عرب قبل الاسلام في المعارك والدخول الى القتال ،فكان يتم على أشكال مختلفة منها:

١- المبارزة : وهي التي تبدأ بها المعركة ، وذلك بأن يخرج من كل جانب محارب أو أكثر يتفاخرون بأنفسهم ونسبهم وقبيلتهم وتاريخهم البطولي ، وينشدون اسفار المفاخرة، وقد يسأل المحارب خصمه ، فإذا وجده غير كفوء رفض المبارزة ، وان كفوءاً له بارزه حتى تنتهي بسقوط أحدهم ثم يبدأ الالتحام [١١٥] .

٢- اسلوب الكر والفر : وهو نظام قتالي بسيط وموقع عرفته القبائل العربية قبل الاسلام يتوافق مع طبيعة أحوالهم الاجتماعية وبيئتهم الجغرافية ، وإذا ما قارناه بالقوة المحاورة لهم نجد ان الفارق كبير بين الطرفين سواء كان مع (الفرس) أو (الروم)[١١٦]، ومن خصائص هذا التكتيك العسكري عند العرب شعار مفاده (اتقوا الكرة بعد الفرة)[١١٧] .

وأن عملية الكر والفر هي أن يكر كل فريق على عدوه حتى يصبح في ماناول سهامه ، فيرشقه بها ومن ثم يلتحم معه بالسيف ، فإذا انهزم امامهم العدو ما اردوه وانتهت المعركة ، أما اذا صمدوا بوجههم ، واحسوا بالضعف انسحبوا الى الخلف لاعادة التنظيم ثم يعاودون الهجوم مرة أخرى ، وهكذا يعيدون الكرة بعد الكرة حتى يحسم أي فريق المعركة لصالحه [١١٨] .

٣- اسلوب الصفوق : وهو النظام الذي استخدمه العرب قبل الاسلام ، وكان يستخدمه في المعارك المنظمة والكبيرة ذات الثقل العددي الكبير ، حيث يحتاج هذا النظام الى اعداد كبيرة من المقاتلين لتشكيل الصفوف القتالية ، إذ يصطف فيها المقاتلون بعضهم البعض ، وتكون الصفوف الأولى المسلحة بالماح الطويلة لصد الفرسان وامتصاص زخم الهجوم، ومن ثم تكون الصفوف المتعاقبة مسلحين بالرماح الصغيرة أو المزاريق من أجل تسديدها على المهاجمين ، عندها يكون قتالهم بقيام المحاربين بالحرب صفاً صفاً [١١٩].

ويعتمد هذا النظام على عدد المقاتلين واسلوب القتال وتوجيهات قائد المعركة [١٢٠]، ومن أهم المعارك التي استخدم فيها نظام الصفوف معركة ذي قار وخزار، كما عرف أهل اليمن هذا النظام ، حيث كان الجيش يقاتل بهذا النظام أو ما سماه أهل اليمن بـ (الزحف) [١٢١].

الخاتمة

لقد توصلنا في نهاية الدراسة الى العديد من النتائج ومنها :

١- إن العصبية القبلية تعد الوحدة الرصينة التي يقوم عليها النظام العربي ، إذ كان لرابطة الدم والدفاع عن القبيلة الأثر المهم والأقوى في الحفاظ على ديمومة القبيلة . وأن لكل قبيلة عاداتها وتقاليدها ويحكمها العرف ، فضلاً عن التزام تلك القبائل بالعديد من الأحلاف.

٢- أثبتت الدراسة أن العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية كان لها أثراً كبيراً في قيام نشوء الجيوش والقوة العسكرية، فمن الناحية الاقتصادية بدأ تأثير الحاجة الماسة للماء والكلأ اللذان يعدان أساساً للوجود البشري ، فمن الناحية السياسية من خلال عمليات التوسع وفرض السيطرة على الأطراف الأخرى، أما دينياً فكان له الأثر البالغ في تفوق عرب ما قبل الإسلام ، وذلك من خلال الايمان المطلق بأن الألهة هي من تحقق النصر على

الأعداء، وأن اتخاذ قرار السلم والحرب كان يؤخذ في المعبد ، وأن الخوف من الخسارة وسقوط الألهة وعبادته في المعركة دفعهم إلى تكوين قوة عسكرية.

٣- توصلنا من خلال الدراسة والمصادر والنقوض ، أن عرب قبل الإسلام كان لهم جيوش نظامية في الحواضر العربية ، وكان الجيش اليمني الذي يعد مثالاً للجيوش العربية آنذاك ، فضلاً عن جيوش تدمر والحضر والحيرة .

٤- تبين أن الظروف التي أحاطت بالقبائل العربية قد أعطتها تنظيماً عسكرية لا تتخلى عنه ، إذ انها تعيش الخطر في كل لحظة ، وهذا ما جعلهم يعيشون الحس العسكري.

٥- استطاع العرب أن يكونوا نظاماً قتالياً خاصاً بهم ألا وهو نظام الصفوف ، الذي كان أثر تطوراً من نظام الكر والفر .

٦- تعد الراية واللواء من أهم رموز السيادة لدى العرب ، فكان لكل قبيلة راية تميزها عن غيرها من القبائل الأخرى وكانوا يستميتعون عن المحافظة عليها ، كما أنهم استعملوا شعارات ذات أهمية قصوى ، فكان قادة الجيش يؤكدون للمقاتلين على شعار وكلمة معينة تردد أثناء القتال.

٧- لقد دفعت الحياة العسكرية عرب قبل الإسلام نحو الاهتمام بالمعدات الحربية وصناعتها ، لما لها من دور كبير في تحقيق النصر على العدو.

الهوامش والمصادر:

(١) يحيى : عبدالوهاب لطفي، العرب في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية (الاسكندرية : ١٩٩٠م)، ص٤٠.

(٢) الطوفان: حادثة غرقت فيها قوم نبي الله نوح، بعد أن امتلأت الأرض ظلماً وجوراً ، فأمره ربه ببناء السفينة ونجى هو ومن معه، وقد أشار القرآن الكريم لذلك في الكثير من السور والآيات منها : سورة نوح : آية ٢٥، وسورة هو: آية ٤١، وسورة الانبياء : آية ٧١ .... إلخ .

(٣) ظاظا : حسن ، الساميانيون ولغاتهم ، ط٢، دار القلم (دمشق : ١٩٩٠م)، ص١٤٥.

(٤) النص احسان ، العصبية القبلية ، ص١٠٥.

(٥) التمدن الإسلامي ، ج٤، ٢٩٠.

(٦) ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ط١، (بيروت: ٢٠٢١م)، ج١، ص١٣٤.

(٧) طلس : محمد أسعد ، تاريخ العرب ، ط٢، (د.م : ١٩٧٩م) ، ص٨٦.

(٨) النص احسان ، العصبية القبلية ، ص١٠٧.

(٩) المسعودي: علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : مصطفى السيد ابن أبي ليلى ، (القاهرة: ٢٠٠٠م)، ج٢، ص٤٦.

(١٠) حسن : علي ابراهيم، تاريخ الإسلام العام ، ط٢ ، (القاهرة: ١٩٥٩م)، ص٤٨٢.

(١١) الجميلي : رشيد ، محاضرات في تاريخ العرب (بغداد: ١٩٧٢م) ، ص٣٧٥- ٣٧٦.

(١٢) العلي : صالح أحمد ، محاضرات في تاريخ العرب ، ط٣، (بغداد: ١٩٦٤م)، ص١٣٤.

(١٣) الاصفهاني : علي بن الحسين ، الأغاني ، (القاهرة : ١٩٦٨م)، ج٣، ص٣٩- ٤٠.

(١٤) الملاح: هاشم يحيى، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام ، (الموصل: ١٩٩٤م)، ص٣٩٠.

(١٥) الملاح، الوسيط ، ص٣٩٢.

(١٦) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١، ٣١٠.

(١٧) الجميلي ، محاضرات ، ص١٩٩.

(١٨) الزبيدي ، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الحياة (بيروت: د.ت) ، ج٤، ص٣٥٧.

(١٩) الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، العين ، تحقيق : مهدي المخزومي ، دار الرشيد (بغداد: ١٩٨٠م)، ج٢، ص٣٧١.

(٢٠) ويلفسون : إسرائيل ، تاريخ اللغات السامية ، دار صادر (بيروت: ١٩٨٠م)، ص٤٦.

(٢١) الزبيدي : ابو بكر بن محمد بن الحسن الاندلسي ، طبقات النحويين اللغويين، دار المعارف (القاهرة: ١٩٧٧م)، ص٢٥٢.

(٢٢) الزبيدي ، تاج العروس ، ج٤، ص١٣٨.

(٢٣) ابن دريد ، الاشتقاق ، ج٣، ٤٨٣.

(٢٤) الحميري : نشوان بن سعيد ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، مطبعة عيسى الحلبي (القاهرة: ١٩٨٣م)، ج١، ص٢٨١.

(٢٥) فرحان : ادهام حسن ، الحياة العسكرية عند العرب قبل الإسلام ، دار الأيام (عمان: ٢٠١٨م)، ص٩٠.

(٢٦) الحداد : محمد يحيى، تاريخ اليمن السياسي قبل الإسلام ، دار الهنا للطباعة (د.م: ١٩٧٦م)، ص١٠٦.

(٢٧) كامل : محمود ، اليمن شماله وجنوبه، دار بيروت(بيروت: ١٩٦٨م)، ص١٢٣.

(٢٨) ابن حبيب ، المجر ، ص٢٤٧.

(٢٩) الزبيدي ، تاج العروس ، ج١ ، ص٤٤٠.

(٣٠) الزبيدي ، تاج العروس ، ج١، ص٤٤٠.

(٣١) الارياني : مطهر علي ، في تاريخ اليمن ، دار الهنا (القاهرة: د.ت) ، ص٦١.

(٣٢) الحارثي ، الجيش اليمني ، ص٤٨.

(٣٣) الحارثي ، الجيش اليمني ، ص٧٠.

(٣٤) الحارثي ، جيش اليمن ، ص٤٧.

(٣٥) العمري ، صفة بلاد اليم عبر العصور ، ص١٨.

(٣٦) بافقيه ، الاحتيال والاذواء ، ص٢٥.

(٣٧) حسن ، الحياة العسكرية ، ص٩٥- ٩٨.

(٣٨) هويك : ايفا ، سنوات في اليمن وحضرموت ، ترجمة: جزي حماد، دار الطليعة (بيروت: ١٩٦٢م)، ص١٣٧.

(٣٩) البني : عدنان، الفن التدمري ، مطبعة الانشا (دمشق: د.ت) ، ص٧٦.

(٤٠) امين: محمد فتحي ، قاموس المصطلحات العسكرية، (بغداد: ١٩٨٢م) ، ص١٨٢.

(٤١) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب، ج٣/ ص٦٥.

(٤٢) حسن ، الحياة العسكرية، ص١٠٦.

(٤٣) الخالدي ، تدمر ، ص٤٢.

(٤٤) حسن ، الحياة العسكرية، ص١٠٧- ١٠٩.

(٤٥) الخالدي ، تدمر ، ص٦٨.

(٤٦) حسن ، الحياة العسكرية، ص١١١.

(٤٧) سفر ، الحضر مدينة الشمس، ص٤٥.

(٤٨) سفر، كتابات الحضر، ص٤٦.

(٤٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص٣٩٥.

(٥٠) الصالحي ، التحصينات الدفاعية في مدينة الحضر، ص١١٩.

(٥١) ابن الاثير ، الكامل ، ج١، ص٥٧.

(٥٢) جواد علي ، المفصل ، ج٥، ص٣٢٧.

(٥٣) سالم ، تاريخ العرب في العصر الجاهلي ، ص٢٥٩.

(٥٤) المعيني : عبد الحميد ، شعراء عبد القيس ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود (الرياض: ٢٠٠٢م)، ص١٥٥.

(٥٥) الجبوري : محمود عباد ، أسلحة الحصار عند العرب حتى نهاية العصر العباسي ، ص١٤.

(٥٦) الاصفهاني ، تاريخ يمن ، ص٧٩.

(٥٧) كسرَ، الحيرة ملاحظات عن علاقاتها مع الجزيرة العربية ، ترجمة : خالد العسلي، مجل النهرين (بغداد: ١٩٧٤م)، العدد ٢، ص١٦٣.

(٥٨) حسن ، الحياة العسكرية ، ص١٢٠.

(٥٩) العسكري : ابو هلال ، جمهرة الامثال ، تحقيق : أحمد ابو الفضل ، المؤسسة الحديثة للطباعة (د.م: ١٩٦٤م)، ص٤٨.

(٦٠) كسر ، الحيرة ومكة ، ص٣٧.

(٦١) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج٥ ، ص٣٢٥.

(٦٢) بافقيه، اليمن من دول القبائل الى الدولة الواحدة، مجلة اليمن الجديد (صنعاء: ١٩٩٥م)، العدد ٥، ص٣٤.

(٦٣) تاريخ فن الحرب ، ترجمة : صباح الدين الاتاسي ، مطبعة وزارة الدفاع (دمشق: ١٩٦٨م)، ج١، ص١٠٥.

(٦٤) الارياني ، نقوش مسندية ، ص٣٢٨.

(٦٥) الهمداني ، فة جزيرة العرب ، ص١٧١.

(٦٦) الهمداني، الاكليل ، ج١ ، ص١٤٤.

(٦٧) الحميري ، شمس العلوم ، ج١، ص٣٥٣.

(٦٨) البغدادي : عبد القادر بن عمر ، خزانة الادب ولب لسان العرب على شواهد شرح الكناية ، المطبعة الامرية (بولاق : ١٩٠٣م) ، ج١ ، ص١٠٦.

(٦٩) حسن ، الحياة العسكرية ، ص١٣٧.

(٧٠) الجندي ، شعر الحرب ، ص٧٩.

(٧١) الجندي ، شعر الحرب ، ص٨٤.

(٧٢) القونس : وهي مدقمة الخوذة . حسن ، الحياة العسكرية ، ص١٣٦.

(٧٣) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج٥ ، ص٣٢٨.

(٧٤) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج١ ، ص٢٠٥.

(٧٥) عيون الاخبار ، ج١، ص٢٠٦.

(٧٦) محفوظ : جمال ، فن الحرب عند العرب في الجاهلية ، بحث منشور ضمن موسوعة الحضارة العربية الاسلامية (عمان: ١٩٩٥م) ، ص١٠٦.

(٧٧) الزوزني : ابو عبدالله الحسين ، شرح المعلقات السبع ، دار صادر (بيروت: ١٩٥٨م)، ص١٣٠.

(٧٨) الساكت : ابراهيم ، الجيش في التراث العربي ، مجلة المورد (بغداد : ١٩٨٤م) ، العدد ٢٣، ص١٤٧.

(٧٩) جواد علي ، المفصل ، ج٥، ص٣٢٨.

(٨٠) ابن الاثير، الكامل ، ج١، ص٥٦٦.

(٨١) حسن ، الحياة العسكرية ، ص١٣٨.

(٨٢) الجندي ، شعر العرب ، ص٨٤.

(٨٣) الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٢ ، ص٢٠٨.

(٨٤) الضبي ، أمثال العرب ، ص٧٤.

(٨٥) اثرين : أحمد بن ابراهيم ، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، ص٧٨.

(٨٦) جواد علي ، المفصل ، ج٥، ص٣٢٩.

(٨٧) لقمان، معارك حاسمة من تاريخ اليمن ، ص١٠٨.

(٨٨) حسن ، الحياة العسكرية ، ص١٣٩- ١٤٠.

(٨٩) حضارة العرب ، ص٤٥؛ تعريب: عادل زعيتر، مطبعة عيسى الحلبي (القاهرة: ١٩٦٥م)، ص١٣٣.

(٩٠) حسن ، الحياة العسكرية ، ص١٤٣.

(٩١) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج٥، ص٣٤٠.

(٩٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١، ص١٢٥.

(٩٣) الالوسي ، بلوغ الارب، ج١، ص٢٥٠.

(٩٤) الدسوقي : عمر ، الفتوة عند العرب ، مكتبة اليقضة (القاهرة: ١٩٥١م)، ص٧٨.

(٩٥) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب، ج٥، ص٤٣٩.

(٩٦) المولى ، أيام العرب ، ص١٧٩.

(٩٧) حسن ، اتجاه العسكرية، ص١٥٠.

(٩٨) فوزي : فاروق عمر، الرايات والألوية وشعارات الحرب عند العرب ، مجلة دراسات في التاريخ والاثار (بغداد: ١٩٨١م)، العدد ٥، ص ٥٠.

(٩٩) سمار : سعد، عادات الحرب عند العرب قبل الاسلام ، مجلة كلية التربية (واسط: ٢٠١٣م)، العدد ١٣ ، ص١٨٩.

(١٠٠) فوزي ، الرايات والألوية ، ص٤٩.

(١٠١) حسن ، الحياة العسكرية ، ص١٥١- ١٥٣.

(١٠٢) النويري ، نهاية الارب ، ج٣ ، ص١٢٨.

(١٠٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢، ص١٩٣.

(١٠٤) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج٦، ص٦٤.

(١٠٥) حسن ، الحياة العسكرية ، ص١٥٤.

(١٠٦) جواد علي ، المفصل ، ج٥، ص٢٣٩.

(١٠٧) حسن ، الحياة العسكرية ، ص١٦٠.

(١٠٨) الومبارد، يوس ، الجغرافية التاريخية والعسكرية ، ترجمة: عبدالرحمن حميد، دار الفكر (دمشق: ١٩٦٣م)، ص٣٤.

(١٠٩) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٥ ، ص٢٢٦.

(١١٠) حسن ، الجياة العسكرية ، ص١٦٠.

(١١١) المفري : عبد الرحمن بن حمد ، المنتخب في ذكر قبائل العرب ، دار المعارف (القاهرة : ١٩٩٢م)، ص٢٣١.

(١١٢) جواد علي ، المفصل، ج٥ ، ص٤٢٨.

(١١٣) كاهن : كلود ، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ، ترجمة : بدر الدين قاسم ، دار الحقيقة (د.م، ١٩٧٢م)، ص١١.

(١١٤) جواد علي ، المفصل ، ج٥، ص٤٢٨.

(١١٥) ديوانه ، ص١١٦.

(١١٦) حسن ، الحياة العسكرية ، ص١٦٨.

(١١٧) جواد علي ، المفصل ، ج٥ ، ص٤٤٣.

(١١٨) الهمذاني : عبد الرحمن ، اسماء الحروب وأماكنها من كتاب (الالفاظ الكتابية) ، تحقيق : لويس شيخو ، (بيروت: ١٩٩٨م)، ص٨٥.

(١١٩) دراكه ، الحرب عند القبائل ، ص١٢٣.

(١٢٠) ابن قتيبة، العقد الفريد ، ج٥، ص٢٦٢.

(١٢١) عبدالله ، أوراق من تاريخ اليمن وأثاره ، ص٣٤.